القيمة النحوية للفاصلة القرآنية
(دراسة تطبيقية على
قصة موسى عليه السلام والعبد
الصالح)

إعداد

د. صالح عبد العظيم الشاعر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم منبع ثر للدراسات النحوية؛ إذ هو أفصح النصوص، المعجز بألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

وقد حظي موضوع (الفاصلة القرآنية) بكثير من الاهتمام لدى المفسرين واللغويين، فضلاً عن الباحثين والدارسين، الذين تلقفوا هذا الاهتمام وجعلوه محورًا لدراساتهم الحديثة.

بيد أني لحظت نقصًا منهجيًّا في تناول (الفاصلة القرآنية) بالبحث والدراسة؛ فعلى حين حظيت أبعاده الصوتية والإيقاعية والبلاغية بدراسات كثيرة [(١)]، قلما

---

(١) مما وقفت عليه من تلك الدراسات:

- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط٢ عمَّان، دار عمار، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- الفواصل القرآنية دراسة بلاغية، د. السيد خضر، ط١ القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٠م.
- صور من إعجاز البيان في فواصل القرآن، دراسة في بلاغة الفاصلة، د. مطيع نشأت هيكل، العدد ١٣ مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، يوليو ٢٠٠٥م.

=

رأيت باحثًا تناوله من الناحية النحوية (١)، ولذا عزمت على بحث هذا الموضوع؛ استكمالاً لجهود السابقين، ورغبة في إلقاء الضوء على هذا الجانب الذي لم تُكشف أبعاده بعد.

- الفواصل القرآنية، دراسة إحصائية صوتية في ضوء معطيات علم اللغة الحديث، د. أحمد عبد الرحمن محمد إدريس، العدد ١٦ مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، يناير ٢٠٠٦م.
- الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، د. عمر عبد الهادي عتيق، مجلة المنارة، المجلد ١٦، العدد ٣، جامعة آل البيت، ٢٠٠٩م.
- الفاصلة القرآنية، طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها، د. زهير غازي زاهد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد ٨٥، ج٣، ٢٠١٠م.

(١) من الدراسات النحوية للموضوع:

- الظواهر النحوية في فواصل القرآن الكريم، رسالة دكتوراه للباحثة عائشة حسين الأنصاري، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.
- مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقتها بآياتها، د. محجوب الحسن محمد، منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ١٨، ١٤١٧هـ.
- الفاصلة القرآنية، د. محمد الحسناوي، دار عمار، الأردن، ط٢، ٢٠٠٠م.
- الفاصلة القرآنية، دراسة في ضوء علم اللغة النصي، د. محمود سليمان الجعيدي، منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ملحق بالعدد السادس والثلاثين، أغسطس ٢٠٠٥م.

=

وقد اخترت التطبيق على (قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح) لكونها إحدى نماذج القصص في القرآن الكريم، وحيث غلب على ظني أن الفاصلة في سياق قصصي لها وضع خاص؛ إذ القصة ترتبط عناصرها ومكوناتها نحويًا وسرديًا، مع تضافر العنصر الصوتي الذي يعطيها جرسًا خاصًا يجذب المتلقي ويميز القصص عما سواه.

والقصص أحد الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن في خمسة أقوال للعلماء، وقد حكى السيوطي بعض هذه الأقوال ضمن خمسة وثلاثين قولاً ذهبوا إليها، فمنها(١):

أن الأحرف السبعة هي: محكم، ومتشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخصوص، وعموم، وقصص.

وقيل: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل.

وقيل: أوامر، وزواجر، وأمثال، وأنباء، وعتب، ووعظ، وقصص.

وقيل: حلال، وحرام، وأمثال، وخصوص، وعموم، وقصص، وإباحات.

وقيل: أمر فرض، ونهي حتم، وأمر ندب، ونهي مرشد، ووعد، ووعيد، وقصص.

ويمكن تحديد ملامح هذه القصة بالنقاط التالية:

- الفاصلة القرآنية وأثرها في التركيب النحوي لسورة ق، د. عصام عبد الرحيم عارف، المجلة العلمية لكلية الآداب بسوهاج، العدد ٢٩، الجزء الثاني، أكتوبر ٢٠٠٦م.

(١) الإتقان، ج١، ص٣٢٩، ٣٣٠.

وردت هذه القصة مرة واحدة في النص القرآني كله، فلم تتكرر مثل أغلب القصص القرآني.

امتدت القصة في سورة الكهف، من الآية (٦٠) إلى الآية (٨٢)، بما يشمل (٢٣) ثلاثا وعشرين آية من مجموع (١١٠) مائة وعشر آيات هي كامل سورة الكهف.

اطَّردت في هذه القصة: الفاصلة المنصوبة مع ألف الإطلاق، ولم تخرج عن ذلك مطلقًا.

ولعلي لا أغالي إذا قلت بأهمية هذا الموضوع من حيث علاقته بمعايير النصية؛ حيث إن غايته رصد شكل من أشكال الترابط اللفظي والمفهومي داخل بنية النص، فهو يصب في محيط معيارين من معايير النصية، التي هي متحققة في النص القرآني بلا أدنى شك.

أولهما: (السبك) أو الربط النحوي من حيث العلاقات النحوية بين المفردات والجمل.

والآخر: (الحبك) أو الانسجام، حيث "تماسك المفردة مع جاراتها، والآية الكريمة مع ما يسبقها وما يلحقها، والفقرة مع الآخرى... وصولاً لهذه النصية المتواصلة"(١)، التي تعد الفاصلة مظهرًا بارزًا لها على مستوى المعيارين معًا.

وقد جعلت البحث منصبًا على مظهرين من مظاهر الترابط النحوي، هما: الموقع الإعرابي، وترتيب عناصر الجملة داخل السياق.أش

---

(١) في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، ص١٩٢.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون على خطة البحث الآتي بيانها:

أولا: تمهيد، يتضمن ما يلي:

١- مفهوم الفاصلة القرآنية.

٢- أنواعها.

٣- خصائصها.

٤- المناسبة بين الفواصل وآياتها.

ثانيا: مطلبان:

المطلب الأول: المواقع الإعرابية للفاصلة.

المطلب الثاني: تأثير الفاصلة على ترتيب عناصر الجملة.

بالإضافة إلى الخاتمة التي ألخص فيها أهم نتائج البحث.

هذا، وما كان في هذا البحث من صواب فبفضل الله وبتوفيقه، وما كان فيه من خطأ فلقصور الفهم البشري وضعف أدواته في محاولة سبر أغوار هذا الكتاب المعجز، وأسأل الله أن يكتب لي أجر الاجتهاد، ويغفر لي ما كان من خطأ وزلل.

(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

د. صالح عبد العظيم الشاعر

تمهيد

في هذا التمهيد أتحدث باختصار عن أربعة عناصر، هي: مفهوم الفاصلة القرآنية، وأنواعها، وخصائصها، والمناسبة بين الفواصل وآياتها، وقبل ذلك أثبت هنا النص الكامل للقصة القرآنية موضع التطبيق:

﴿ الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد

الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة الفيل بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين ﴾ [الكهف: ٦٠- ٨٢].

أولا: مفهوم الفاصلة القرآنية:

يشير المعنى اللغوي لكلمة (فاصلة) إلى: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصَّل النظم: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة(١).

---

(١) لسان العرب: (ف ص ل).

والفصْل في أصل اللغة: "كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه"(١).

وعلى ما سبق فلفظة "الفاصلة" –فيما يلوح لي– تشير إلى معنى تقسيم النص إلى أجزاء، والتمييز بين تلك الأجزاء، بحيث تكون الفواصل مواضع ربط بينها، ودلائل إبانة وإفهام للمعاني.

فإذا ما انتقلنا إلى مفهوم الفاصلة في القرآن الكريم كما وصفها المفسرون، وجدنا أنها تشير إلى "آخر كلمة في الآية، تشبه القافية في الشعر، والسجع في النثر"(٢)، وهذا تعريف على سبيل الوصف الخارجي، ليس فيه بيان خصائص الفاصلة، ولا توضيح صفاتها.

أما لدى أبي عمرو الداني، فهي آخر كلمة في الجملة، يقول: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنَّ رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية"(٣)، أي أنه قد تحتوي الآية على عدة جمل فيكون فيها عدة فواصل، وليس هذا بالمتفق عليه؛ لأن من خصائص الفاصلة أنها تميز الآية السابقة عن اللاحقة، وعندها تقع الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام وزيادة قابليته للفهم، يقول القاضي أبو بكر: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام

---

(١) مقاييس اللغة: باب الفاء والصاد وما يثلثهما.

(٢) البرهان للزركشي، ج١، ص٨٣.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٥٣، ٥٤.

المعاني"(١)، وأكد ذلك الرماني بقوله: "إن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب؛ ذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها"(٢)، فافترقت الفواصل عن السجع من حيث إن "السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو تقدير السجع في القرآن؛ لأن اللفظ يقع فيه تابعًا للمعنى"(٣).

وخلاصة المفهوم الاصطلاحي للفاصلة أنها: "لفظ آخر الآية، ينتهي بصوت قد يتكرر محدثًا إيقاعًا مؤثرًا في صورة السجع، وبذلك تكون الفواصل هي الكلمات التي تقع في نهايات الآيات، و تجعل كل منها إزاء الأخرى، وتوضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية"(٤).

ثانيا: أنواع الفاصلة القرآنية:

يقول ابن عاشور: "الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتكرر في السورة تكرارًا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة، تكثر وتقل، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع،

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٥٣.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص٩٧.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني، ص٥٨.

(٤) المنهج السياقي ودلالة النص، ص١٦.

والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون، وهي أكثر شبهًا بالتزام ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع"(١).

ويرى بعض الباحثين أن الفاصلة –تبعًا لحرف الروي ووحدته أو تنوعه داخل السورة الواحدة– على نوعين: متماثلة، ومتقاربة(٢).

فالفاصلة المتماثلة: التي تماثلت حروف رويها، سواء في الحرف الأخير مثل: (لتشقى، يخشى، العُلى، استوى، ...) في سورة طه، أو في الحرفين الأخيرين مثل: (صدرَك، وزرَك، ظهرَك، ذكرَك) في سورة الشرح، أو في الأحرف الثلاثة الأخيرة مثل: (بمجنون، ممنون) في سورة القلم، أو في الأحرف الأربعة الأخيرة مثل: (مبصرون، يُقصرون) في سورة الأعراف.

وقد جاءت الفواصل المتماثلة أو الموحدة على نسق واحد من أول السورة حتى آخرها في إحدى عشرة سورة، هي: القمر، والأعلى، والشمس، والليل، والقدر، والعصر، والهمزة، والفيل، والكوثر، والإخلاص، والناس.

والنوع الثاني من الفاصلة هو: المتقاربة، وهي التي تقاربت حروف رويها، كتقارب الميم مع النون، وتقارب الدال مع الباء، كما في سور: الفاتحة، ويونس، والمؤمنون، والدخان، و(ق)، والقلم، والماعون، والمطففون، والتين. ومن أمثلة هذا النوع: (الرحيم، الدين) في سورة الفاتحة، و(المجيد، عجيب) في سورة (ق).

---

(١) التحرير والتنوير، ج١، ص٧٥.

(٢) الفاصلة في القرآن، ص١٤٥ وما بعدها.

وهذا التقسيم الثنائي مبني على أساس صوتي، يجعل التماثل أو التقارب معيارًا للتقسيم، إلا أن هناك معايير أخرى قُسمت على أساسها الفاصلة القرآنية، فمثلاً:

قد تُقسم بحسب الوزن "من حيث توافر الوزن وعدمه، ومن حيث اجتماع الوزن مع عنصر آخر أو انفراده"(١)، فيندرج تحتها ما سماه العلماء: (المطرَّف، والمتوازي، والمتوازن، والمرصَّع)، وهنا تُجعل الحركات والسكنات وترتيبهما معيارًا، بالإضافة إلى المعيار الصوتي السابق بيانه.

وقد تُقسم الفواصل بحسب طول الفقرة(٢) إلى ثلاثة أقسام: "قصير موجز، ومتوسط معجز، وطويل مفصح مبين للمعنى مبرز"(٣)، إلا أن هذا التقسيم خرج من مفهوم الفاصلة إلى المفهوم الأوسع، وهو طول الفقرة التي تأتي الفاصلة ختامًا لها.

كما تُقسم أيضًا باعتبارات أخرى(٤)، مثل: التقسيم بحسب طول القرينة، وبحسب مقدارها من الآية.

ثالثا: خصائص الفاصلة القرآنية:

مما يُعلم بالضرورة أن للفاصلة القرآنية من الخصائص ما للفظة القرآنية من الخصائص العامة، ومنها(٥):

---

(١) الفاصلة في القرآن، ص١٤٩.

(٢) الفاصلة في القرآن، ص١٥١.

(٣) فوائد قرآنية، ص٢٢٧.

(٤) الفاصلة في القرآن، ص١٥٤ وما بعدها.

(٥) المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، ص٣٩ وما بعدها.

١- كونها دقيقة في الدلالة، لا يمكن استبدال لفظة أخرى بها.

٢- وقوعها في مكانها المناسب بدقة، بحيث لو أبدل مكانها لسبب هذا الإبدال فساد الكلام أو سقوط البلاغة.

٣- دقتها في وصف الأشياء.

٤- دقتها في المعنى، وهذا ناتج عن الدقة في الخصائص الثلاث المذكورة.

٥- دقتها في التناسق؛ حيث تتداعى الألفاظ بتسلسل منطقي، بحيث تُسلم كل لفظة إلى الأخرى بسلاسة وتجانس.

٦- وجود الغريب فيها، ذلك الغريب الذي يشوق السامع إلى معرفة معناه.

وبالإضافة إلى ذلك: تتميز الفواصل عن باقي كلمات القرآن الكريم بأنها ترتبط على عدة اتجاهات، بكل من:

١- الفواصل المشابهة لها على مستوى السورة.

٢- الجملة التي وقعت فيها.

٣- سياق الآية التي وقعت فيها، بما يحتويه من جمل، على ما سيتضح بيانه في العنصر التالي.

٤- التناص مع سياق مشابه في سورة أخرى، بما يحقق الترابط الذي يقتضيه كون القرآن وحدة واحدة، على حد عبارة ابن هشام:

"القرآن كلُّه كالسُّورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى"(١).

رابعًا: المناسبة بين الفواصل وآياتها:

لا شك أن للفاصلة دورًا "في الإحكام الفكري في آيتها، وتشكيل خطابها بما يتطلبه معناها، ويستدعيه الموقف والسياق، فهي تضفي على معناها قيمة صوتية وقيمة دلالية بالغة الأهمية؛ مما يسهم في إحكام بنائها على أوثق وجوه الإحكام؛ ومن ثَمَّ يتسم الإحكام في الفاصلة بوظيفتين في الشكل والمضمون: وظيفة رئيسة معنوية يحتِّمها السياق، ووظيفة أخرى لفظية تتصل بجمال الإيقاع"(٢).

وليست علاقة الفاصلة بالآية إلا شكلاً واحدًا من أشكال علاقاتها متعددة الأنواع؛ حيث يذكر الباحثون لعلاقة الفاصلة بسياقها أنواعًا، فمن أنواعها: علاقتها بقرينتها، أو الآية التي وردت فيها، أو المقطع، أو السورة، أو حتى الجزء الواحد من القرآن الكريم، أو بمجموعه(٣).

وعلاقة الفاصلة بقرينتها أطلق عليها العلماء: ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام، وحصروا هذا الائتلاف في أربعة أشياء، هي: التمكين، والتوشيح والإيغال، والتصدير(٤).

---

(١) مغني اللبيب، ص٢٠٧.

(٢) المنهج السياقي ودلالة النص، ص١٨.

(٣) المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، ص٥٢ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، نفسه.

فالتمكين: أن يمهد قبل الفاصلة تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكَّنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم.

يروى أن عمر بن الخطاب لما سمع صدر الآية إلى قوله: (خَلْقًا آخَرَ) قال: فتبارك الله أحسن الخالقين؛ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : هكذا أنزلت. وفي مسند الطيالسي: ونزلت (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ)(١) الآية، فلما نزلت قلت أنا: تبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ). ويُروى أن قائل ذلك معاذ بن جبل، وروي أن قائل ذلك عبد الله بن أبي سرح، وبهذا السبب ارتد وقال: آتي بمثل ما يأتي محمد!(٢)

والتوشيح: سُمي بهذا الاسم؛ لأن الكلام نفسه يدل على آخره، نزّل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يُحمل عليهما الوشاح، ويسميه بعض العلماء: المطلع؛ لأن صدره مطلع في عجزه.

ومن أمثلته قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(٣)، فإن اصطفاءهم يوحي بالفاصلة؛ إذ هم نوع من جنس العالمين.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

والإيغال: سمِّي بذلك؛ لأن مستعمله يتجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، ويوغل إلى زيادة على الحد.

قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(١)، فالكلام قد تم بقوله: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا)، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائدًا(٢).

والتصدير: أن تكون لفظة الفاصلة بعينها قد تقدمت في أول الآية، كما في قوله تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٠.

(٢) البرهان للزركشي، ج٣، ص١٨٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٤١.

المطلب الأول
المواقع الإعرابية للفاصلة

المواقع الإعرابية التي تقع فيها الفاصلة القرآنية مظهر من مظاهر الفاعلية النحوية لها، ونظرًا لكون العنصر التطبيقي لهذا البحث في (قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح) واقعًا كله منصوبًا، فسيقتصر الحديث هنا على مواضع النصب.

ولدى إحصاء الفواصل في هذه القصة، وعددها (٢٣) ثلاث وعشرون فاصلة، يمكن تلخيص ملامحها فيما يلي:

أولاً: كان النصب وما يصاحبه من إطلاق الصوت هو الملمح الوحيد الذي استمر من بداية القصة إلى نهايتها، حيث تنوع حرف الفاصلة بين خمسة أحرف، هي:

*** الراء (١٤) أربع عشرة مرة، وهو الحرف المسيطر على الفواصل في القصة؛ وتبلغ نسبته (٦٠.٨%) من إجمالي الفواصل في القصة.**

وعلى المستوى العام، تقع فاصلة الراء في المرتبة الثالثة شيوعًا على مستوى القرآن الكريم بعد النون والميم، بنسبة ١١.٠٤%، وعدد ٦٩٠ من إجمالي ٦٢٤٧ فاصلة(١).

*** الباء (٥) خمس مرات، ويستولي هذا الحرف على المقدمة التي جاءت بمنزلة تمهيد للأحداث الرئيسية في القصة، حيث ورد أربع مرات في هذا الموضع: (حقبًا)، (سربًا)، (نصبًا)، (عجبًا)، ثم تكرر مرة أخرى في (غصبًا).**

---

(١) فواصل الآيات القرآنية، ص٧٩.

*** الميم (٢) مرتان: (علمًا)، و(رحمًا).**

*** الصاد (١) مرة واحدة: (قصصًا).**

*** الدال (١) مرة واحدة: (رشدًا).**

وهذا هو المؤشر الأول لغلبة المستوى النحوي على المستوى الصوتي في الفواصل، فالتوحد في النصب يقابله التنوع في الحرف الذي يسبق الألف.

ثانيًا: تعددت أبواب النحو التي تتسع للفواصل، على ثمانية أبواب، هي:

المفعول به.

المفعول الثاني.

المفعول لأجله.

النعت.

الحال.

التمييز.

ظرف الزمان.

المفعول المطلق.

على التفصيل الآتي بيانه:

(﴿لَابِثِينَ﴾) قال أبو جعفر النحاس في إعرابه: "ظرف"[١]، ونقل عن أبي جعفر قوله: "حقيقة الحقب وقت من الزمان مبهم، يكون لتمييز سنة أو

---

(١) إعراب القرآن للنحاس، ص٥٤٨.

أقل أو أكثر"[١]، قال السمين: "منصوب على الظرف، وهو بمعنى الدهر"[٢].

(سربًا): يقول أبو إسحق الزجاج: "و(سربًا) منصوب على جهتين:

١- على المفعول، كقولك: اتخذت طريقي في السرب، واتخذت طريقي مكانَ كذا وكذا، فيكون مفعولاً ثانيًا، كقولك: اتخذت زيدًا وكيلاً.

٢- ويجوز أن يكون (سربًا) مصدرًا، يدل عليه (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ)، فيكون المعنى: نسيا حوتهما فجعل الحوت طريقه في البحر، ثم بيَّن كيف ذلك، فكأنه قال: سَرَبَ الحوتُ سَرَبا"[٣]، وهذا القول رجحه النحاس، مع إجازته للقول الأول[٤].

ويبدو لي الوجه الأول أقل تكلفًا، مع كون الوجه الثاني أكثر إظهارًا لقيمة الفاصلة؛ حيث انتهى الكلام عند لفظ (البحر)، ثم جاء اللفظ المنصوب الموافق للفواصل لينهي الآية.

(نصبًا) في إعرابه قال السمين: "هو المفعول بـ(لقينا)"(٥).

(عجبًا) قال الزجاج: "منصوب على وجهين:

على قول يوشع: (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا).

---

(١) المرجع السابق، نفسه.

(٢) الدر المصون، ج٧، ص٥١٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، ج٣، ص٢٩٩.

(٤) يُنظَر: إعراب القرآن للنحاس، ص٥٤٨.

(٥) الدر المصون، ج٧، ص٥٢١.

ويجوز أن يكون قال يوشع: اتخذ الحوت سبيله في البحر، فأجابه موسى فقال: (عجبًا)، كأنه قال: أعجب عجبا، ثم قال: ذلك ما كنا نبغي"(١).

وقال الزمخشري: "يعنى واتخذ سبيله سبيلا عجبًا، وهو كونه شبيه السرب، أو قال: عجبا في آخر كلامه؛ تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها"(٢).

وحكى النحاس قولاً ثالثًا عن أحمد بن يحيى، قال: "المعنى: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر فعجِب عجبًا"(٣)، واصفًا هذا القول بأنه "أولى مما قال أبو إسحاق"، معضدًا له براوية عن مجاهد: "قال موسى: تتبَّع أثر الحوت ونظر إلى دورانه في الماء وتعجَّب من تغيُّبه فيه".

وهذا أيضًا يُقال فيه كما قيل في (سربًا)، فعلى الوجه الثاني الذي ذكره الزجاج تكون الجملة قد جاءت استئنافًا بعد (البحر) بقول موسى: (عجبًا)؛ لتختم الآية بفاصلة مناسبة للسياق لفظًا ومعنى.

(قصصًا) يقول الزجاج: "أي رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر قصصًا"(٤).

وفي نصبه عند السمين الحلبي "ثلاثة أوجه:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، ج٣، ص٣٠٠.

(٢) الكشاف، ج٢، ص٤٩٢.

(٣) إعراب القرآن، ص٥٤٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، ج٣، ص٣٠٠.

أحدها: أنه مصدر في موضع الحال، أي: قاصين.

الثاني: أنه مصدر منصوب بفعل من لفظه مقدر، أي: يقصان قصصا.

الثالث: أنه منصوب بـ(ارتدَّا)؛ لأنه في معنى (فقصَّا)"(١).

وعلى الوجه الثالث نلحظ أثر التضمين واضحًا في اختيار لفظة الفاصلة، وكذا على الوجه الثاني تبرز أهمية الفاصلة، فما الحاجة إلى تقدير فعل إلا لإيراد لفظة تماثل الفواصل في السياق وتناسب المعنى المراد؟

(علمًا) "مفعول ثان لـ(وعلمناه)"(٢) .

(رشدًا) "مفعول ثان لـ(تعلمني)، لا لقوله: (مما علمت)"(٣).

وقال النحاس: "يكون نعتًا، ويكون مستأنفًا، (وعلمناه) معطوف عليه"(٤).

(صبرًا) أغفلته المصادر، ولعل ذلك لوضوح إعرابه على أنه مفعول به.

(خبرًا): قال أبو إسحق: "ونصب (خبرًا) على المصدر؛ لأن معنى (لم تحط به): لم تخبره خبرًا، ومثله قول امرئ القيس:

وصِرنا إلى الحُسنَى ورَقَّ حديثُنا ورُضتُ فذلَّت صعبةٌ أي إذلالِ

لأن معنى (رضتُ): أذللتُ، وكذلك (أحطت به) في معنى (خبرته)"(١).

---

(١) الدر المصون، ج٧، ص٥٢٥.

(٢) المرجع السابق، نفسه، وانظر: إعراب القرآن، ص٥٤٩.

(٣) الدر المصون، ج٧، ص٥٢٥.

(٤) إعراب القرآن، ص٥٤٩.

ومعنى كلام الزجاج هنا الحمل على المعنى، أو على الأدق تضمين (تحط به) معنى (تخبره).

وذكر السمين له وجها آخر، هو "أنه تمييز لقوله: (تحط)، وهو منقول من الفاعلية؛ إذ الأصل: مما لم يُحط به خُبرك"(٢).

(أمرًا): وهذا اللفظ أيضًا أُغفل إعرابه، وهو مفعول به.

(ذكرًا): وهذا أيضًا كسابقه، مفعول به.

(إمرًا): صفة(٣)، أي: "شيئًا عظيمًا"(٤).

(صبرًا) مفعول به كما تقدم، وقد تكرر.

(عسرًا): "مفعول ثان لـ(ترهقني)"(٥)، والمفعول الأول (من أمري) وهو المفهوم من قول النحاس: "(وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا): مفعولان"(٦).

(نكرا): صفة(٧)، ومعناه على هذا: "أتيتَ شيئًا نُكرًا"(١)، وأجاز الزجَّاج في إعرابه النصب على نزع الخافض، أي "أن يكون معناه: جئت بشيءٍ نُكرٍ، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب"(٢).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، ج٣، ص٣٠٢.

(٢) الدر المصون، ج٧، ص٥٢٦.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٤، ص٥٢٨.

(٤) الدر المصون، ج٧، ص٥٢٨.

(٥) المرجع السابق، نفسه، وينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٤، ص٥٢٨.

(٦) إعراب القرآن، ص٥٥٠.

(٧) إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٤، ص٥٢٨.

ويُلاحظ أن هذا الوجه الذي ذكره يتعلق بالإعراب لا المعنى، فالنصب على نزع الخافض لا يخرج اللفظ عن معنى النعت.

(صبرًا) مفعول به كما سبق القول.

(عذرًا): مفعول به(٣).

(أجرًا): مفعول به(٤).

(صبرًا): مفعول به(٥).

(غصبًا): "مفعول مطلق مبين لنوع الأخذ، ويجوز أن يكون المصدر في موضع نصب على الحال، وفي الكلام تقديم وتأخير"(٦).

وذكر له السمين الحلبي بالإضافة إلى ذلك وجوهًا إعرابية أخرى، فأجاز أن يكون منصوبًا على المفعول له، لكنه قال: "وهو بعيد في المعنى"(٧).

(وكفرًا) معطوف على (طغيانًا) الذي هو مفعول ثان لـ(يرهقهما)(٨).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، ج٣، ص٣٠٣.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٣.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٤، ص٥٢٩.

(٤) المصدر السابق، ج٤، ص٥٢٩.

(٥) المصدر السابق، ج٤، ص٥٣٠.

(٦) المصدر السابق، ج٤، ص٥٣٠.

(٧) الدر المصون، ج٧، ص٥٣٧.

(٨) إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٤،ص٥٣٦.

(رحمًا): تمييز، أي: رحمة بوالديه(١).

(صبرًا): مفعول به(٢).

(١) المصدر السابق، ج٤، ص٥٣٠.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج٤، ص٥٣١.

خلاصة:

مما سبق بيانه، يتضح أن أكثر المواقع الإعرابية استئثارًا بالفاصلة في هذه القصة هو موقع المفعول به(١)؛ حيث استأثر بستة عشر موضعًا من إجمالي ثلاثة وعشرين، بل ولو أضفنا ما هو نعت للمفعول به لوصل العدد إلى ثمانية عشر موضعًا، ولم يقاربه في الكثرة موقع من المواقع الأخرى، بما يسوِّغ القول بأن المفعول به هو حاكم الفاصلة المنصوبة بلا منازع.

وهذا أمرٌ متوقَّع وجار على الأصل؛ إذ المفاعيل هي "الأصل في النصب، وغيرها محمول عليها"(٢) كما ذكر الجوجري.

كما برز من الأساليب اللغوية التي أسهمت في اختيار لفظة الفاصلة: التضمين في الأفعال، فعلى سبيل المثال: ضُمِّن الفعل (ارتدا) معنى الفعل (قصَّا) ليرد لفظ الفاصلة (قصصًا) موافقًا للنمط المستخدم من الفواصل، بدلاً من (ارتدادًا) الذي لا يوافقه.

وكذلك ضُمِّن (أحطت به) معنى (خبرته)؛ ليمكن ورود لفظ (خُبرا) فاصلة؛ حيث يتنافى (إحاطة) مع نظام الفواصل المستخدم.

ومما لوحظ في بعض المواضع: اختتام بعض الآيات بلفظ –فاصلة– يمثل جملة مستأنفة، بعد انتهاء جملة أخرى في اللفظ الواقع قبله، وهو أمر ذو دلالة على أهمية الفاصلة ومحوريتها.

---

(١) شمل هذا العدد ما كان (المفعول به) أحد الأقوال فيه، وكذلك المفعول الثاني.

(٢) شرح شذور الذهب للجوجري، ج٢، ص٤٠٥.

المطلب الثاني
تأثير الفاصلة على ترتيب عناصر الجملة

ظاهرة التقديم والتأخير لا يكاد يخلو منها باب نحوي، وربما شاع الحديث عنها في الأساليب اللغوية التي تقوم على عنصرين متلازمين متطالبين، كالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وفعل الشرط وجوابه، وبعض الأدوات ومدخولاتها.

كما أنها ظاهرة أسلوبية تبرز الجانب الجوازي في اللغة، الذي يتيح تقديم العناصر وتأخيرها أثناء عملية البناء اللغوي، برصف العناصر اللغوية لتكوين جملة، ورصف الجمل لتكوين النص، كل ذلك بما يخدم الأسلوب، ويحقق الدلالة المقصودة.

وفي الحقيقة إن دراسة التقديم والتأخير في هذا البحث لا تهتم إلا بما يقع منه في اللفظ الذي يقع فاصلة؛ إذ هو الذي يتعلق به التقديم والتأخير من أجل الغاية الصوتية، وفي الوقت نفسه تتعانق هذه الغاية مع المعنى الدلالي، ولا يتعارضان، بل لا يُتصور تعارضهما أصلاً.

وإذا نظرنا إلى عناصر الجمل في القصة موضع البحث وترتيبها، برز لنا من قضاياها: تقديم الجار والمجرور على المتعلق أو على لفظ الفاصلة، حيث تكررت هذه الظاهرة بشكل ملحوظ على مستوى القصة.

فما أبعاد ظاهرة تقديم الجار والمجرور على متعلقهما؟ وما تأثيرها على المعنى والدلالة؟

تقديم الجار والمجرور على المتعلق:

تمهيد:

بدايةً، يقرر النحاة أنه لا بدَّ لحروف الجرِّ -عدا الزوائد منها- من وجود ما تتعلَّق به ظاهرًا أو مضمرًا(١)؛ ويعللون ذلك بأنَّ معاني الحروف تتوقَّف على ذكر المتعلّق، بخلاف الأسماء والأفعال(٢).

ومفهوم التعلُّق: أن يوصل الحرف معنى الفعل إلى الاسم، وبهذا تبرز أهميته، حيث إنَّ الأفعال الَّتي ترد قبلها لا تتجاوز الفاعل إلى المفعول، وتكون ضعيفة عن أن تصل وتفضي إلى الأسماء (المفاعيل) الَّتي بعدها بلا واسطة، فتقوم حروف الجرِّ بهذه الواسطة(٣)، أي أنَّها "معونة لتعدِّي الفعل"(٤)، تدخل مع الفعل "لتقوّيه فتعدِّيه"(٥).

يقول ابن الحاجب: "فالَّذي وصل معناه هو الَّذي يتعلَّق به الحرف، كقولك: سرت من البصرة، فـ(من) أوصلت معنى السير إلى البصرة على معنى الابتداء وهو متعلَّق به"(٦).

ومن الأمثلة التي توضح أهمية الجار والمجرور في هذا الموضع: الأفعال (عجبتُ) و(مررتُ) و(ذهبتُ)، فلو قيل: عجبتُ زيدًا، أو مررتُ

---

(١) شرح الجمل لابن عصفور، ج١، ص٤٨٢.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل، ج٢، ص١٣٧.

(٣) شرح المفصل، ج٨، ص٨.

(٤) الخصائص، ج١، ص٣٤١.

(٥) المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٩.

(٦) الأمالي النحوية، ج٤، ص١٦.

جعفرًا، أو ذهبتُ محمَّدًا، لم يجز ذلك؛ لضعف هذه الأفعال عن الوصول إلى الأسماء، فتوصلها حروف الجرِّ فيقال: عجبتُ من زيد، ومررتُ بجعفر، وذهبتُ إلى محمَّد، وكانت هذه الأسماء مجرورة لا منصوبة بالأفعال؛ للفصل بين الفعل الواصل بنفسه والفعل الواصل بغيره؛ ليمتاز السبب الأقوى من السبب الأضعف(١).

أصل الترتيب بين الجار والمجرور والمتعلق:

والأصل في الترتيب بين الجارِّ والمجرور ومتعلَّقهما أن يتقدَّم عليهما، وإذا كان محذوفًا فالأصل "أن يقدَّر مقدَّمًا عليهما، كسائر العوامل مع معمولاتها، وقد يعرض ما يقتضي ترجيح تقديره مؤخَّرًا، وما يقتضي إيجابه، فالأوَّل نحو: في الدار زيد؛ لأنَّ المحذوف هو الخبر، وأصله أن يتأخَّر عن المبتدأ، والثاني نحو: إنَّ في الدار زيدًا؛ لأنَّ (إنَّ) لا يليها مرفوعها، ويلزم من قدَّر المتعلّق فعلاً أن يقدِّره مؤخَّرًا في جميع المسائل؛ لأنَّ الخبر إذا كان فعلاً لا يتقدَّم على المبتدأ"(٢).

أغراض التقديم:

شبَّه الإمام عبد القاهر تقديم الجارِّ والمجرور بتقديم المفعول المنصوب من حيث المعنى والدلالة، حيث قال: "وحكم الجارِّ مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب، فإذا قلت: ما أمرتك بهذا، كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيءٍ آخر، وإذا

---

(١) شرح المفصل، ج٨، ص٨.

(٢) مغني اللبيب، ص٣٦٦.

قلت: ما بهذا أمرتك، كنت قد أمرته بشيءٍ غيره "(١)، أي أنَّ المعنى إثبات حصول الأمر وتخصيص نفيه بالشيء المخصوص المشار إليه بـ(هذا).

وتقديم الجارّ والمجرور –شأن جميع المعمولات– يدور غرضه حول التخصيص والحصر(٢)، وممَّا وقع منه في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ) (٣)، فـ﴿تُحْشَرُونَ﴾ جواب القسم الَّذي دخلت عليه اللام، "و﴿إِلَى اللهِ﴾ متعلِّقٌ به، وإنَّما قُدِّم للاختصاص، أي: إلى الله لا إلى غيره يكون حشركم، أو للاهتمام"(٤).

الآيات موضع التطبيق:

إذا اتخذنا غرض التخصيص أو الحصر أصلاً في تفسير ما ورد من تقديم الجار والمجرور على متعلقه، ساعد ذلك على فهم معاني الآيات بشكل أوضح، كما أنه يبين بعض العلاقات التي مثلت دافعًا محركًا للسياق في اتجاه المعنى الصحيح والفاصلة المناسبة للسياق.

ففي قوله تعالى: (مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) تقديم الجار والمجرور؛ إذ الأصل تقدم المفعول عليهما، وفيه تخصيص للعلم بأنه من لدن رب العالمين، أي أنه ما كان بدرس ولا تأمل ولا طلب، لكنه اختص بكونه لدنِّيا، لا مصدر له سوى أنه من عند الله.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٢٧.

(٢) يُنظر: معترك الأقران، ج١، ص١٨٩.

(٣) سورى آل عمران، الآية ١٥٨.

(٤) الدر المصون، ج٣، ص٤٥٩.

وفي التخصيص الذي أفاده تقديم الظرف(١) في قوله: (لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) إيحاء بالامتحان الذي وُضع سيدنا موسى فيه؛ حيثُ نفى عنه الصبر في صحبته ومعيته، فلماذا؟؛ لأنها مواقف وحالات لم يحط بها خبرًا، ولم يقف عليها، لم يصل إليها علمه، وهو كليم الله الذي اصطفاه على الناس.

وفي قوله تعالى: (لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا)، أي أن علمك ومعرفتك توقفت عند هذا الأمر على وجه الخصوص، الذي شاء الله أن أعلمك إياه.

وفي هذه الفاصلة تضمين كما سبقت الإشارة؛ حيث استبدل المصدر (خبرا) بـ(إحاطة) الذي يقتضيه الفعل (تحط به)؛ وذلك لأن (إحاطة) لا يتوافق مع بقية الفواصل صوتًا، وقد تكررت هذه الفاصلة في سياق آخر في السورة نفسها، في قصة ذي القرنين (وقد أحطنا بما لديه خبرا).

وإذا انتقلنا إلى مواضع تقدم الجار والمجرور والمتعلق على لفظ الفاصلة، ففي حسباني أن الدلالة لم تختلف كثيرًا، فعلى سبيل المثال:

في قوله تعالى: (وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) أفاد التقديم التخصيص، وأوحى التخصيص بالتعظيم؛ إذ إن موسى عليه السلام يعلم –بوحي الله– أن هذا العبد الصالح أعلم منه(٢)، وما دام الأمر كذلك فقد كان حاله معه

---

(١) أوردت الظرف هنا؛ لأنه شبيه بالجار والمجرور ويشاركه في كثير من الأحكام عند النحويين.

(٢) يُنظَر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، رقم الحديث: ١٢٠.

حال التعظيم له والتواضع أمامه، فلذا قال: (وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)، أي أن هذا الأمر منك مخصوص بالتزامي بعدم عصيانه.

وفي قوله: (فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)، دل تأخير لفظة الفاصلة وتقديم الجار والمجرور على اختصاص الاستثناء من النهي عن السؤال عن شيء بإحداث الذكر فيه خاصة، لا في غيره من الأشياء، وهو إرشاد لسيدنا موسى إلى مواطن الكلام ومتى يحسُن وفيم يجمُل.

وكذا في قوله تعالى: (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)، دل تقديم الجار والمجرور على اختصاص تحضيض سيدنا موسى عليه السلام صاحبَه أن يتخذ أجرًا بهذا الأمر الذي تعب فيه، وهو إقامة الجدار، فهو لا يريده أن يقبل ضيافة ولا هدية، بل أجر ما فعل فحسب، فهو اختصاص غرضه الاحتراز.

وكذا قوله تعالى: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)، والذي تكرر في قوله: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)، فيُلاحظ أنه توافق مع السياق السابق الذي قال فيه: (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا)؛ حيث جاء هنا بتقديم الجار والمجرور على المتعلق ليفيد القصر، أي أن نفي الصبر عنه كان في خصوص هذه الأمور التي لا يحيط بحكمتها، فالصبر من صفات الأنبياء والرسل التي وهبهم الله إياها، لكن في خصوص هذه القصة (مع العبد الصالح، وفي هذه المواقف خاصة) انتفى صبر سيدنا موسى عليه السلام.

ومما سبق بيانه تتضح عدة أمور:

أولا: أن الفاصلة القرآنية في هذه المواضع جاءت على سبيل الدعم النحوي الدلالي لتقديم الجار والمجرور على المتعلق.

ثانيًا: أن هذا التكامل جاء موسومًا بسمة صوتية هي تكرار صوت الفاصلة وحركتها ومد الصوت فيها، وهو تكامل لا يطغى فيه غرض على غرض، بل يتجانس لفظًا ومعنى من جميع الوجوه.

ثالثًا: أن التخصيص والحصر غرض حاضر بقوة في هذا السياق، مع وجود أغراض تتفرع منه، كالتعظيم مثلاً، والاحتراز، والإرشاد.

خاتمة

في ختام هذا البحث، ألخص النتائج التي توصلت إليها، فمن أهمها:

أولاً: تعد علامة الإعراب عنصرًا ذا أهمية قصوى في الربط بين الفواصل القرآنية داخل السياق الواحد؛ فعلى حين تتعدد الأصوات المختومة بها الفواصل، والمواقع الإعرابية المختلفة لها، تبقى العلامة الإعرابية واحدة لا تكاد تتخلف، وهذا مما يبين تغلب القيمة النحوية على القيمة الصوتية في الربط بين الفواصل.

فرغم أنه من الملحوظ غلبة صوت واحد على الفواصل بنسبة (٦٠%)، إلا أن تلك النسبة لا تُقارن بنسبة التزام علامة الإعراب التي بلغت في خصوص القصة موضع التطبيق (١٠٠%).

ثانيا: من شأن الفاصلة القرآنية أن تنظم العلاقات النحوية بين الألفاظ داخل الآيات نحوًا ومعنى متلازمين.

ثالثا: يعمل تنظيم العلاقات النحوية المذكور آنفا على ثلاث جهات:

أ. على جهة اختيار اللفظة التي تقع فاصلة، بأن تكون منتهية بشيئين: صامت محدَّد، وصائت إعرابي موحَّد؛ لإحداث نوع من التناسق الصوتي بين الفواصل، وقد يُكتفى بأحدهما لذلك الغرض.

ب. على جهة تحديد المواقع الإعرابية التي تنحصر فيها الفاصلة، بحيث تنتمي إلى المنصوبات مثلاً كما لُحظ في الجانب التطبيقي من البحث.

ج. على جهة التوافق مع ترتيب مكونات الجملة، وحركتها الجوازية تقديمًا وتأخيرًا، وفصلاً واعتراضًا، بحيث تكون المحصلة النهائية وقوع لفظ الفاصلة في مكانه من آخر الآية، غير قلِق ولا مُستكرَه.

رابعًا: هذا التنظيم يعدُّ نظامًا غالبًا، وليس مطَّردًا، ولعل في ذلك تمييزًا للنص القرآني عن فنون القول المعروفة لدى العرب، بحيث لو قيس بالمعروف لهم من شعر ونثر وسجع –بما لها من الأنظمة في التقفية الموحدة والأسجاع المطردة– لامتاز عنها، وانفرد بنظامه الخاص.

خامسًا: أبرز البحث غلبة موقع (المفعول به) على الفاصلة المنصوبة على وجه العموم.

سادسًا: بيَّن البحث الاهتمام الكبير بلفظة الفاصلة في القرآن الكريم، فمن مظاهر ذلك: أن الكلام في بعض المواضع ينتهي قبل نهاية الآية، فتأتي لفظة واحدة موافقة للفواصل بمنزلة كلام مستأنف لتُختم بها الآية.

سابعًا: ومن مظاهره كذلك: التقديم والتأخير؛ حيث يقدم ما حقه التأخير ويؤخر لفظ الفاصلة الذي يعد تقديمه أصلا، مع موافقة ذلك للدلالة والغرض الأسلوبي.

ثامنًا: برزت قضية (تقديم الجار والمجرور على متعلقهما) بين مواضع التقديم والتأخير في القصة موضع التطبيق، بالإضافة إلى تقدم الجار والمجرور والمتعلق على لفظ الفاصلة.

تاسعًا: كانت أغراض التقديم دائرة حول التخصيص والحصر، مع أغراض أخرى متفرعة عنه، كالتعظيم ، والاحتراز، والإرشاد.

عاشرًا: أظهر البحث أن التضمين في الأفعال من الأساليب اللغوية التي أسهمت في اختيار لفظة الفاصلة؛ حيث يُستعمل لكي يمكن ورود لفظ موافق للفواصل بدلا من مصدر ذلك الفعل (الوارد في الآية) الذي لا يوافقها، وهو وسيلة أسلوبية غاية في الأهمية.

حادي عشر: من الأمور التي أسهمت في إبراز قيمة الفاصلة أيضًا: التقدير، حيث لزم تقدير فعل في سياق الآية يتناسب مع لفظ الفاصلة ويعلِّل وجودها بلفظها.

ثاني عشر: يلزمنا لدقة الاستنتاجات أن نفترض أن للقرآن ثلاثة مستويات من النصية، فهو بكامله وحدة نصية كبرى، وكل سورة بداخله وحدة نصية وسطى، وكل سياق داخل السورة وحدة نصية صغرى، وكلما صغرت الوحدة كان عنصر الفاصلة أقرب إلى التوحُّد، وأبعد من التنوُّع.

هذا عدا ما تفرق في ثنايا البحث من نتائج فرعية تنضوي تحت النتائج الكبرى.

ومع تلك النتائج المذكورة، يبقى التنبيه إلى أن كل ما ذُكر مما أوصلني إليه البحث هو جزء من كل، فإدراك القيمة النحوية للفاصلة القرآنية بجميع أبعادها يحتاج إلى دراسة موسعة، يمتد مجال تطبيقها إلى القرآن الكريم كاملاً، ولعل الله ييسر لي في مستقبل الزمان إجراء بحث مستفيض، أكمل فيه ما بدأته في هذا البحث، والله الموفق والمستعان.

والحمد لله أولا وآخرا،،،

د. صالح عبد العظيم الشاعر

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣- إعجاز القرآن، للباقلاني، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م.

٤- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، اعتنى به الشيخ خالد العلي، بيروت، ط٢ دار المعرفة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، ط٨، بيروت، دار اليمامة وابن كثير، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦- الأمالي النحويَّة (أمالي القرآن الكريم)، لابن الحاجب، تحقيق: هادي حسن حمودي، بيروت، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربيَّة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧- الإيضاح في شرح المفصّل، لابن الحاجب، تحقيق د.موسى بناي العليلي، العراق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيَّة.

٨- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار التراث، د.ت.

٩- التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، تونس، دار سحنون، ١٩٩٧م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.

١١- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق محمَّد علي النجَّار، ط٢، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، د.ت.

١٢- الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق د.أحمد الخرَّاط، دار القلم، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣- دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.

١٤- شرح جمل الزجَّاجي، لابن عصفور، تحقيق: د.صاحب أبو جناح، د.ت.

١٥- شرح شذور الذهب، لشمس الدين الجوجري الشافعي، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، ط١ عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.

١٦- شرح المفصّل، لابن يعيش، عالم الكتب ببيروت ومكتبة المتنبِّي بالقاهرة.

١٧- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط٢، عمَّان، الأردن، دار عمار، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٨- فوائد قرآنية، أحمد خيري، ط١، الإسكندرية، دار الثقافة، ١٣٨٥هـ.

١٩- فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية، د.السيد خضر، ط٢، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢٠- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، أ.د.بشري حمدي البستاني، م.د.وسن عبد الغني المختار،

مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد١، ٢٠١١م.

٢١- الكشاف، للزمخشري، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٢- لسان العرب، لابن منظور، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٣- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق د.عبد الجليل شلبي، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمَّد البجاوي، القاهرة، دار الفكر العربي.

٢٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، وبهامشه مختصر شرح شواهد المغني للعلامة السيوطي، تدقيق د.صالح عبد العظيم الشاعر، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٦- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٧- المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ، رسالة ماجستير أعدها محمد يوسف هاشم السيد، إشراف د.زكريا الزميلي، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩م.

٢٨- المنهج السياقي ودلالة النص، دراسة أسلوبية في نهايات الآيات، د.عزة جدوع، مجلة كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٠٠٤م.

٢٩- النكت في إعجاز القرآن، للرماني، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط٤، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٦م.